حين يبدع إعلام المحنة
بقلم الدكتور هشام الهلالى:

حينما كنت مراسلا صحفيا لعدة صحف ومجلات في اثناء حرب البلقان ، تسنت لي زيارة سراييفو المحاصرة في عام 1993 وتحديدا في الخامس عشر من يوليو ، كانت الرحلة مدتها اسبوع تسبقها اجراءات مشددة منها على سبيل المثال انه تحصل على تصريح صحفي من المكتب الاعلامي للأمم المتحدة بزغرب الى جانب حجز الطيران من سبليت الى سراييفو المحاصرة وان تأخذ دورك على متن طائرة النقل السى 130 العملاقة وغالبا يسافر على متن الطائرة من اثنين الى ثلاثة صحفيين، ويشترط ان ترتدى واقيا من الرصاص وخوذة والا لن تستطع ان تركب الطائرة .

الرحلة شاقة ولكنها جميلة وممتعة وعلى متن الطائرة كان يوجد صحفي أمريكي ومصور كندى من التايم ورويتر ، وصلنا الى مطار سراييفو وسط اجراءات امنية مشددة في، دخلنا الى سراييفو حيث كانت توجد مناطق محررة ومناطق محتلة وبخاصة أعالي الجبال كانت معظمها يحتلها الصرب، اصوات القذائف والمدافع لا تتوقف ليل نهار، والمدافعين عن سراييفو يتقدمون كل يوم خطوة وربما خطوات لتحرير العاصمة سراييفو ، كثير من المباني والمنازل تهدمت لكن لم يستطيعوا ان يهدموا او يزحزحوا صمود اهالي سراييفو ، الناس يبدو عليهم الجوع ولكن تكسو وجوههم العزة ، يأكلون وجبة واحدة بالكاد وربما لا يأكلون كنت اقوم بإجراء حوار مع نائب رئيس الجمهورية د ايوب جانيتش وجدته يأكل ملعقتين من الحساء وكسرة خبز متيبسة، الوضع في سراييفو كان يدعو للفخر ولكن الاعلام العربي والمسلم كان غائبا نوعا ما، مع عدم توفر الامكانات مثل وكالات الانباء العالمية التي كانت تمتلك سيارات مصفحة في سراييفو تمكنها من الدخول في مكان وبخاصة اذا علمت ان السائقين كانوا يمشون في بعض الاماكن بسرعة مذهلة وينبهك قبلها لذلك حتى لا تتعرض للقنص .

كل شيء مختلف في واقع سراييفو ملاحم بطولية رأيتها بعيني وقصص عجيبة لا تنتهي، ولكن اكثر شيء لفت نظري انه تم انشاء محطة تليفزيون واذاعة لاهالي سراييفو تبث اخبارها طوال اليوم ، أسست في اثناء حصار سراييفو ، طبعا ذهبت الى مقر القناة البسيط جدا وقابلت المشرفين على القناة والاذاعة اربعة او خمسة افراد من بينهم امرأة

ربما كانت هي من تتولى الادارة، يقومون ببث الاخبار والاحداث للأهالي عبر التلفاز ، ومعرفة ما يدور من احداث بشكل مستمر ، الى جانب توجيه نداءات وكلمات وخطب لتشجيع الاهالي المحاصرين على تقبل الاوضاع المتردية على جميع الاصعدة ، من قلة الطعام والماء والعلاج وقطع النور على المستشفيات وتعرضها الدائم للقصف من قبل القوات الصربية ، في واقع الامر لم يكن اهالي سراييفو في حاجة لمن يرفع معنوياتهم العالية اصلا ، بل على العكس تماما ، نحن من ارتفعت معنوياتنا حينما وجدنا وشاهدنا ما يحدث من صمود منقطع النظير .

الغريب في الامر ان اهالي سراييفو كانوا يستمعون الى كلام العلماء على انها اوامر يجب تنفيذها ، فمثلا قام الشيخ مصطفى سيرتش شيخ الاسلام في البوسنة والهرسك آنذاك ببث حديث عبر الاذاعة الى اهالي سراييفو يحفزهم وطلب إليهم ان ينووا صيام يوم غد ، وحينما زرت الاهالي في اليوم التالي وجدتهم جميعهم صائمين بحسب تعليمات الشيخ مصطفى سيرتش ، الشيخ مصطفى سيرتش يعلم جيدا انه لا يوجد طعام في بيوت سراييفو لذلك كان بين الحين والآخر يطلب من اهالي سراييفو الصيام والدعاء للرئيس بيجوفيتش والمدافعين عن سراييفو والبوسنة والهرسك ، فكانت الناس تصوم جوعا وتطوعا وهم سعداء وفى غاية السعادة ، بث الروح المعنوية واخبار المدافعين عن سراييفو ونجاحات الرئيس على عزت بيجوفيتش عبر اذاعة وتلفزيون الحياة في تفاوضه مع الغرب كانت تسعد اهالي سراييفو وتعوضهم من الطعام والشراب وانقطاع النور في احيان كثيرة .